

(١)

فضل الدفاع عن الأوطان والعمل على وحدة صفها

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه الكريم {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ}، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وبعد:

فإن الوطن نعمة من أجل نعم الله تعالى على الإنسان، وحب الناس لأوطانهم أمر فطري شجع عليه الإسلام، ورغب فيه، وأولاه عناية واهتماماً كبيراً، وليس أدل على ذلك مما قام به النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من إبرام وثيقة المدينة بينه وبين الطوائف المختلفة التي كانت تسكن المدينة بهدف حمايتها والدفاع عنها.

فالدفاع عن الوطن وحمايته مطلب شرعي، وواجب وطني على كل من يعيش على أرضه، ويستظل بسمائه؛ لأن استقرار الأوطان ضرورة لتحقيق غاية الله من الخلق في إعمار الكون، ورفعة الدين، وإقامة شعائره، وما شرع الجهاد في الإسلام إلا دفاعاً عن الأوطان ورداً للظلم والعدوان؛ لذا فقد أعلى الله (عز وجل) شأن من يبذلون أرواحهم في سبيل الله دفاعاً عن أوطانهم، فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ}.

(٢)

والشهادة في سبيل الله دفاعاً عن الوطن منزلة من أرقى المنازل التي تجعل صاحبها في معية الأنبياء والصديقين ، قال تعالى: {وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا}، ويقول سبحانه: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} ، وبشر النبي (صلى الله عليه وسلم) حُرَّاسِ الْوَطَنِ الَّذِينَ يَضْحُونَ بَأَنْفُسِهِمْ دَفَاعًا عَنْ وَطَنِهِم بِالْأَمَانِ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فقال (صلى الله عليه وسلم): (عَيَّانٍ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ، عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). فذكر (صلى الله عليه وسلم) الجزء وأراد الكل ، حيث ذكر العين وأراد الجسد .

ولقد جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الدفاع عن الأوطان منهج حياة وتربية ربى عليه أصحابه (رضي الله عنهم أجمعين) ، **وَضْرِبِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَعْظَمَ الْأَمْثَلَةَ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْوَطَنِ ، وَالْمَسَارَعَةِ فِي حِمَايَتِهِ ،** فكان (صلى الله عليه وسلم) يتصدر المواقف دفاعاً عن وطنه، فعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشَجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَرَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَخَرَجُوا نَحْوَ الصَّوْتِ، فَاسْتَقْبَلَهُمُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَقَدْ اسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ، وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ لِأَبِي طَلْحَةَ عُرِيٍّ، وَفِي عُنُقِهِ السِّيفُ، وَهُوَ يَقُولُ: (لَمْ تُرَاعُوا، لَمْ تُرَاعُوا)، ثُمَّ قَالَ: (وَجَدْنَاهُ بَحْرًا)، أَوْ قَالَ: (إِنَّهُ لَبَحْرٌ).

والمتدبر في سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) يجد أن جميع غزواته (صلى الله عليه وسلم) كانت دفاعاً عن الوطن ، ورداً لعدوان أعدائه عنه ، ففي غزوة أحد أراد المشركون أن يستباحوا حرمة المدينة ، وأن يعتدوا على المسلمين في وطنهم ، فخرج إليهم النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وأصحابه دفاعاً عن الأرض ، والعرض ، ورداً للعدوان.

وفي غزوة الخندق اجتمعت الأحزاب من كل حذبٍ وصوبٍ لحصار المدينة والإغارة عليها ، فكان القتال دفاعاً عن النفس ، والوطن ، والعرض ، وهو ما يصوره الحق سبحانه وتعالى بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}.

وفي غزوة خيبر كان أهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين ، وحرصوا بني قريظة على الغدر والخيانة ، ثم أخذوا في الاتصال بالمنافقين وبقبائل غطفان وأعراب البادية لتأليبهم على المسلمين ، وكانوا هم أنفسهم يستعدون لقتال النبي (صلى الله عليه وسلم) وصحابته، فكان لا بد من مواجعتهم وكف شرهم .

كما ضرب الصحابة (رضوان الله عليهم) أروع الأمثلة في الدفاع عن أوطانهم، فهذا سيدنا حنظلة "غسيل الملائكة" (رضي الله عنه) يضحى بنفسه دفاعاً عن وطنه ليلة عرسه : فرآه رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي الْقَتْلِ فَقَالَ: (إِنَّ صَاحِبَكُمْ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ) فَسَأَلُوا صَاحِبَتَهُ فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ وَهُوَ جُنْبٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (لِذَلِكَ غَسَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ).

وهذا أنس بن النضر (رضي الله عنه) يضحى بنفسه دفاعاً عن دينه ووطنه ، فعَنْ أَنَسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)، قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ غَيْبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيْنَ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ)، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، قَالَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَدُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ، - يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ

(٤)

تَقَدَّمَ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: (يَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبَّ النَّصْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ)، قَالَ سَعْدُ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسُ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَتَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمِيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخْتَهُ بِنَانِهِ قَالَ أَنَسُ: " كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ}.

وهذا سيدنا عمرو بن الجموح (رضي الله عنه) ضحى بنفسه رغم عرجته ، وخرج مدافعاً عن دينه ووطنه فجاء إلى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ قُتِلَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: (نَعَمْ)، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ (رضي الله عنه): يَا عَمْرُو، لَا تَأَلَّ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَهَلًا يَا عَمْرُو، فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبْرَهُ: مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ، يَخُوضُ فِي الْجَنَّةِ بِعَرَجَتِهِ).

فهنيئاً لرجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وضحوا بأرواحهم وأنفسهم في سبيل الله دفاعاً عن أوطانهم ، ورفعة لبلادهم ، فخلد التاريخ ذكراهم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين .
إخوة الإسلام:

إننا حين نتحدث عن فضل الوطن ، وشرف الدفاع عنه ، والتضحية من أجله ، والشهادة في سبيله لا يمكن أن ننسى أن قواتنا المسلحة الباسلة قدمت ولا زالت تقدم

(٥)

أروع الأمثلة في الحفاظ على وحدة الوطن ، وسلامة أراضيه ، والتصدي لأي يدٍ خائنة ، أو حاقدة ، أو حاسدة تريد أن تعبت بأمنه ، أو تنال من استقراره ، ولا أدل على ذلك من الجهود التي بذلت ولا زالت في مواجهة قوى الشر والإرهاب .

ولعل من بديع قدر الله أن تأتي الذكرى السادسة والثلاثون لتحرير سيناء هذا العام متوازية مع تلك الجهود المشرفة لقواتنا المسلحة الباسلة ، ورجال الشرطة البواسل في العملية الوطنية (سيناء ٢٠١٨) .

فسيناء هي الأرض المباركة الطيبة التي خلد الحق سبحانه وتعالى ذكرها في كتابه الكريم ، حيث يقول سبحانه في إشارة إلى بعض ما فيها من الخيرات والبركات: {وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ وَصَبْغٍ لِلْكَالِبِينَ} ، وهي أرض الوادي المقدس طوى ، والبقعة المباركة التي ورد ذكرها في ثنايا الحديث عن سيدنا موسى (عليه السلام) حيث قال سبحانه : { فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِي يَا مُوسَى * إِيَّيَّيْنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى } ، وقال سبحانه: { فَلَمَّا أَنَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِيَّيْنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } ، بل لقد أقسم الحق (سبحانه وتعالى) في كتابه العزيز بطور سيناء في سورة سُميت باسمه وهي سورة (الطور) ، مقدمًا القسم به على ما سواه من الأمور الأخرى المقسم بها مع ما لها من مكانة أو قدسية فقال تعالى : { وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ } ، وأقسم الحق سبحانه وتعالى به صراحةً محددًا ومخصصًا في كتابه العزيز في سورة (التين) ، فقال عز وجل : { وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ }

(٦)

مقدمًا القسم بطور سنين على القسم بالبلد الأمين ، مع ما لهذا البلد الأمين من قداسة ومكانة.

إن هذه المكانة التي اختص الله (عز وجل) بها سيناء توجب علينا جميعا أن نجعلها في قلوبنا ، وأن نحميها ونفديها بكل ما نملك ، ولا شك أن قواتنا المسلحة الباسلة تحمل ذلك بشجاعة فائقة على عاتقها ، وقد قدّمت وما زالت تقدم تضحيات غالية من دماء أبنائها في سبيل الوطن بصفة عامة ، وفي سبيل الحفاظ على سيناء وتطهيرها من العناصر الإرهابية والإجرامية بصفة خاصة ، وهو ما يستحق التحية والتقدير .

على أن مواجهة الإرهاب تتطلب أن نقف صفاً واحداً في مواجهة قوى الإرهاب والشر ، بحيث لا نترك بيننا فرصة لخائنٍ ، أو عميلٍ ، أو مأجورٍ على حساب الوطن .

كما يتطلب منا مضاعفة الجهد في العمل والإنتاج ، فيدّ تحمي وتحرس ، وأخرى تنتج وتبني وتعمّر ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ) .

فإذا كانت مهمة الإنسان في هذه الحياة هي إعمار الأرض ، فإن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل الصادق ، والجهد الخالص لآخر لحظة من لحظات الدنيا ، قال نبينا (صلى الله عليه وسلم): {إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةُ وَيَدِّ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ} .

**اللهم من أراد بمصر خيرًا فوفقه إليه ،
ومن أراد بمصر سوءًا فاجعل كيده في نحره ،
واجح تدبيره في تدميره .**